القصص

سنشيتا الاسبانية

بقلم حسين شوقى

(سنشيت) الاسبانية بطلة القصة حسناء تبيع برتقالا على عربة ، يعاونها فى عملها (بدرو) ، وليس هو البطل الآخر للقصة وانما هو شقيقها . وهو صبى لم يعد العاشرة ، اما البطل الحقيقى فهو الشاب (خوان) خاطب (سنشيتا) ؛ وهوصياد بارع يضارع فى قوته (نبتون) اله البحر ، ولكنه جميل الوجه . . اما أقارب (سنشيتا) فلم يعش منهم غير (بدرو) وغير الأم التى تقوم على إدارة المنزل . وكانت (سنشيتا) فى آخر النهار اذا ما فرغت من البيع تدفع العربة أمامها فى طريق الدار ، يعاونها فى ذلك (بدرو) و (خوان) ؛ وكانت هذه المهمة تستغرق وقتا طويلا على قرب البيت ؛ لأن ذلك الطريق القصير كان يقطع فى مغازلة مستمرة بين الخطيبين ؛ فتارة يقارن (خوان) مابين البرتقال وخد الفتاة فى الحمرة والنضرة ؛ وطوراً تكون ابتسامة رقيقة ذات معان تبعثها (سنشيتا) الى (خوان) . . ومرة ثالثة ، ملاحظة وقحة من (بدرو) الصبى على أعمال العشيقين ، تثير غضب الفتاة ؛ ولو فى الظاهر . .

وقد خطب (خوان) الفتاة منذ ثلاث سنين ، والخطوبات الطويلة المدى من العادات المألوفة عند الاسبانيين . .

اتفق المحبان على الزواج لدى عودة (خوان) من رحلة يزمعها بعد أيام قلائل الى بعض الجزر النائية حيث يكثر السمك ؛ وكانت نية الفتى ان ينقطع عن عمله مدة بعد عودته من تلك الرحلة التى سوف تعود عليه بالربح الوفير ، يقضيها الى جانب زوجه المحبوبة فى هناء وسعادة . .

أزف الرحيل وكان يوماً قاتما ، كأن الطبيعة تشارك الخطيبين الحزن ، وبكرت الفتاة فى الذهاب برفقة شقيقها الى المركب الشراعى الذى يحمل عليه خطيبها ، وهو مركب قديم يندر وجوده الآن الا فى اشرطة السينما عن القرصان ، وكانت الفتاة تحمل سفطا ممتلئا بالبرتقال أخذت توزعه على (خوان) ورفاقه ، أقلع الشراع ولم تكن الا هنيهة حتى غاب عن نظر (سنشيتا) الحاد . .

صارت الفتاة تتردد فى غيبة خطيبها الى غابة منعزلة كانا يقصدانها أحيانا أيام العطلة ؛ فتبث شكواها الى أشجار الصنوبر الرومة ؛ وتعيد على سمعها فى صوت عال — وسط هذه العزلة التامة ، تلك الكلمات الرقيقة التى كانت تسمعها من (خوان) ، وأحياناً ولا سيما فى الليل كانت تخرج الى الشاطئ لتشاهد الأنوار العديدة الخافقة المنبعثة على صفحة الماء من زوارق الصيد التى تروح وتغدو على مقربة . وفيما هى تعود الى المنزل بعد جولة من تلك الجولات الليلية وجدت شقيقها (بدرو) جالساً الى المائدة يطالع فى شغف كتابا مصورا ، فلما رآها التفت اليها قائلا : « (سنشيتا) يحسن ألا تتركى خطيبك يتنقل فى البحار لأنهم يقولون إن حور البحر يخطفن البحارين الحسان ! » فابتسمت الفتاة لهذا القول وقبلت أخاها قبلة طويلة فى جبهته . وفى ذات يوم دقت الأجراس فى القرية على غير عادة ؛ فعجبت لذلك (سنشيتا) وكانت إذ ذاك فى حجرتها منهمكة فى ارتداء ثيابها لتخرج الى السوق . . رباه ! لماذا تقرع الأجراس ؛ وليس اليوم من أيام الأعياد ؟ وإذا (بدرو) يدخل عليها الحجرة بغتة هاشا مسروراً فينبئها بالخبر العظيم . . بعودة (خوان) ، وبأن هذه الأجراس انما تقرع تحية له ولرفاقه الصيادين الذين عادوا من رحلتهم الطويلة . . خرجت الفتاة الى الشاطئ وأراد (بدرو) أن يرافقها اليه ، ولكن الأم احتجزته معها فى المنزل ليساعدها فى تنسيق مائدة الطعام إكراماً للخطيب المحبوب . . بلغت الفتاة الشاطئ فوجدت السفن راسية والصيادين يعانقون أهليهم وذويهم ، ولكن . . (خوان) ! . . أين (خوان) ؟ أين (خوان) الجميل ؟ خوان لم يؤب فقد ابتلعته الأمواج فى ليل عاصف ، وهو فى طريق العودة الى الوطن . . ثم دنا أحد الصيادين من (سنشيتا) قائلا : « انتظرى (سنشيتا) سأعطيك نقود خطيبك التعس » . . ولكن (سنشيتا) لم تنتظر بل قفلت راجعة الى المنزل . . وعندما بلغت عتبة الدار وجدت شقيقها (بدرو) ينتظر متطلعاً ، ثم سألها فى لهفة : . . « ولكن أين خطيبك ؟ » فاجابته فى هدوء : « لقد احتفظت حور الماء بحارنا الجميل يا بدرو » !

كرمة بن هانى — حسين شوقى